

الإثنين 26-10-2009

### 787- يوم إبداعي الشخصي: حوار مع الله (24)

مرة أخرى: موقف "قد جاء وقق" استلهام متجدد ينفي جمود النص حتى عند الفاظه: التجربة اليوم حدثت بالصدفة، نفس الحلقات السابقة (21، 22، 23) تناولت هذا الموقف "قد جاء وقق"، باستلهام مختلف، ثم إنني عدت إليه دون أن أعرف أنني سبق أن تعاملت معه، فوجدت كأنني لم أقرأه أبداً من قبل، وحين جاء دور هذه الحلقة (24) وجدت أنه اشتغل وعيي بشكل آخر، فحركني إليه جديداً، وتساءلت: أين التكرار. أثبتت لـ هذه التجربة:

أولاً: إن الاستلهام غير التفسير.

ثانياً: إن النص القادر أن يحرك الوعي بما شاء إلى ما شاء، هو نفسه يتجدد باستمرار.

ثالثاً: إن النص حتى وعي آخر، لا رمز مرصوم. ملحوظة: لم أرجع إلى ما سبق نشره في الحلقات الثلاثة السابقة، وبالتالي لم أقارن.

على من يريد أن يجرِب فيفحص الشبه أو الاختلاف، فله الفضل إن شاء.

وقال مولانا النفرى

أوقفنى وقال لي إن لم ترق لم تكن بي.

وقال لي إن رأيت غيري لم ترني.

فقلت له:

بعد السعى بلا كلل، غمرتني بها .

حققتُ قربك بيقي بضرورة بُعدك.

لـم أـعـد أـطـمـع أـن أـرـاكـ، وـلـسـ خـائـفـاـ أـلـا أـكـونـ بـكـ إـذـا أـنـاـ  
لـمـ أـرـاكـ.

سـعـيـيـ إـلـيـكـ رـؤـيـةـ قـبـلـيـةـ لـأـحـتـاجـ مـعـهـ أـنـ أـرـاكـ .  
لـاـ أـرـىـ غـيرـكـ إـلـاـ مـنـ خـالـلـكـ.

الـغـيـرـ لـيـسـواـ أـغـرـابـاـ، مـاـ دـمـتـ بـكـ فـيـهـمـ، وـهـمـ فـيـ مـنـكـ،  
فـلـاـ خـوـفـ عـلـىـ وـلـاـ أـنـاـ يـجـزـنـونـ .  
إـنـ رـأـيـتـكـ خـدـعـتـ نـفـسـيـ فـأـفـزـعـ إـلـىـ مـاـ رـأـيـتـ .  
وـإـنـ رـأـيـتـ نـفـسـيـ هـدـثـيـ إـلـيـكـ.

وـإـنـ رـأـيـتـ غـيرـكـ بـدـونـكـ، فـلـاـ أـنـاـ نـفـسـيـ وـلـاـ هـوـ يـغـنـيـ .

لـاـ عـلـاقـةـ إـلـاـ مـنـ خـالـلـكـ، إـنـ كـانـ لـهـ أـنـ تـبـقـيـ، لـنـكـونـ .  
وـقـالـ مـلـوـلـاـ النـفـرـىـ

وـقـالـ لـىـ اـجـعـلـ ذـكـرـيـ وـرـاءـ ظـهـرـكـ وـإـلـاـ  
رـجـعـتـ إـلـىـ سـوـاـيـ لـاـ حـائـلـ بـيـنـكـ وـبـيـنـهـ

فـقـلـتـ لـهـ :

ذـكـرـكـ لـيـسـ أـنـتـ .

أـصـدـعـ إـلـيـكـ بـذـكـرـكـ، أـمـتـطـيـ صـهـوـتـهـ، لـاـ أـرـكـ بـرـاقـهـ، أـخـافـ  
الـانـطـلـاقـ .

أـخـشـ جـرـعـةـ المـبـاشـرـةـ، فـاسـمـ لـيـ أـصـدـعـ عـلـىـ سـلـمـ العـجـزـ .  
سـاخـنـيـ إـنـ كـانـ صـعـودـيـ التـمـاسـ، وـرـؤـيـتـ تـحـسـسـاـ، وـحـسـابـاتـىـ  
حـرـصـاـ .

فـرـحـتـ مـرـعـبـةـ حـينـ أـتـبـيـنـ أـنـهـ لـاـ حـائـلـ بـيـنـكـ، فـارـحـمـيـ  
مـنـهـمـ .

هـمـ يـقـيمـونـ الـمـواـجـزـ بـيـنـنـاـ بـاـسـمـكـ، وـأـحـيـانـاـ بـذـكـرـكـ .  
تـعـالـيـيـتـ سـبـحـانـكـ عـمـاـ يـصـفـونـ .

وـقـالـ مـلـوـلـاـ النـفـرـىـ

مـلـحوـظـةـ: هـذـهـ الـفـقـرـةـ نـشـرـتـ فـيـ الـمـلـقـاتـ السـابـقـةـ مـقـطـعـةـ إـلـىـ  
أـجـزـاءـ، يـكـنـ لـمـ يـقـارـنـ أـنـ يـلـاحـظـ الـفـرـقـ بـيـنـ تـقـطـيـعـ النـصـ، وـبـيـنـ  
أـنـ يـصـلـ جـمـيعـهـ مـعـاـ .

وـقـالـ لـىـ قـدـ جـاءـ وـقـقـ وـآنـ لـيـ أـكـشـفـ عـنـ وـجـهـيـ وـأـظـهـرـ  
سـبـحـانـيـ وـيـتـمـلـ نـورـيـ بـالـفـنـيـةـ وـمـاـ وـرـاءـهـ وـتـطـلـعـ عـلـىـ الـعـيـونـ  
وـالـقـلـوبـ، وـتـرـىـ عـدـوـيـ يـجـبـنـيـ، وـتـرـىـ أـولـيـانـيـ يـمـكـنـونـ، فـأـرـفـعـ لـهـمـ  
الـعـرـوـشـ وـيـرـسـلـونـ النـارـ فـلـاـ تـرـجـعـ، وـأـعـمـرـ بـيـوـتـيـ الـخـرـابـ  
وـنـتـزـيـنـ بـالـزـيـنـةـ الـحـقـ، وـتـرـىـ قـسـطـيـ كـيـفـ يـنـفـيـ مـاـ سـوـاهـ، وـأـمـعـ  
الـنـاسـ عـلـىـ الـيـسـرـ فـلـاـ يـفـتـقـونـ وـلـاـ يـذـلـونـ فـأـسـتـخـرـ كـنـزـ وـتـحـقـقـ

ما أحـقـتكـ بهـ منـ خـبـرـىـ وـعـدـتـىـ وـقـرـبـ طـلـوعـىـ،ـ فـانـىـ سـوـفـ أـطـلـعـ وـجـمـعـ حـولـ النـجـومـ،ـ وـأـمـعـ بـينـ الشـمـسـ وـالـقـمـرـ،ـ وـأـدـخـلـ فـكـلـ بـيـتـ وـيـسـلـمـونـ عـلـىـ وـأـسـلـمـ عـلـيـهـمـ،ـ وـذـلـكـ بـأـنـ لـ المـشـيـثـ وـبـإـذـنـ تـقـومـ السـاعـةـ،ـ وـأـنـ العـزـيزـ الرـحـيمـ.

فـقـلتـ لـهـ:

وقـتـكـ لـاـجـيـءـ،ـ حـينـ تـفـضـلـ عـلـىـ بـالـخـضـورـ فـنـعـرـفـ أـنـهـ جـاءـ وـقـتـ أـنـاـ،ـ تـرـمـيـ بـنـسـبـتـهـ إـلـيـكـ أـعـيـانـ هـذـاـ المـوـقـفـ فـيـ الـاسـتـلـهـامـ الـأـوـلـ حـقـ فـرـحـتـ بـضـبـابـ فـكـرـيـ،ـ

ثـمـ عـادـ صـاحـبـ يـغـرـيـنـ بـالـعـودـةـ،ـ وـمـازـلـتـ مـتـرـدـداـ.ـ وـقـتـكـ لـاـجـيـءـ لـ كـمـاـ قـلـتـ.ـ هـوـ عـنـدـيـ بـلـاـ بـدـاـيـةـ وـلـاـ نـهاـيـةـ،ـ فـقـطـ أـنـاـ أـنـتـبـهـ فـأـجـدـهـ كـأـنـهـ جـاءـ،ـ وـهـوـ لـمـ يـذـهـبـ لـيـعـنـيـ بـلـغـنـيـ أـنـ الـمـرـادـ هـوـ حـضـورـ وـعـيـىـ لـأـرـىـ أـنـكـ الدـائـمـ هـنـاكـ.ـ

لـاـ وـقـتـ إـلـاـ مـاـ نـصـنـعـ،ـ سـبـحـانـكـ.ـ قـائـمـ بـكـ بـنـاـ،ـ وـفـيـنـاـ،ـ وـمـنـ حـولـنـاـ.

فـضـلـكـ هـوـ الـذـىـ يـكـشـفـ عـنـاـ الـغـطـاءـ وـقـتـمـاـ تـرـىـ،ـ فـنـرـىـ:ـ الـمـشـكـاةـ،ـ وـالـمـصـبـاحـ وـالـكـوـكـبـ الدـرـىـ،ـ وـالـشـجـرـ الـزـيـتونـةـ فـكـلـ نـاحـيـةـ،ـ وـمـنـ كـلـ نـاحـيـةـ،ـ

زـيـتـهـ أـضـاءـنـاـ فـتـجـلـيـتـ فـيـنـاـ،ـ وـلـاـ تـمـسـسـهـ نـارـ.ـ إـلـىـ أـيـنـ يـرـسـلـونـ النـارـ؟ـ

رـحـمـتـكـ تـجـعـلـ النـارـ دـاـخـلـنـاـ بـرـدـاـ وـسـلـامـاـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ غـيـاثـنـاـ.

عـدـوـكـ يـجـبـكـ،ـ يـصـلـهـ حـبـكـ لـهـ رـغـمـاـ عـنـهـ،ـ رـغـمـاـ عـنـ عـمـاهـ.ـ فـنـاءـ الـأـفـنـيـةـ وـهـمـ مـاـ دـامـ نـورـكـ يـتـصلـ.ـ خـرـابـ الـقـلـوبـ يـتـلـهـفـ عـلـىـ ذـلـكـ الـيـوـمـ الـذـىـ تـغـمـرـ فـيـهـ الـقـلـوبـ بـكـ.

وـقـتـكـ الـذـىـ جـاءـ لـيـسـ السـاعـةـ الـآـتـيـةـ لـاـ رـيبـ فـيـهـ،ـ وـقـتـكـ هـوـ كـلـ وـقـتـ،ـ وـكـلـ الـوـقـتـ هـوـ وـقـتـكـ،ـ وـلـكـ أـكـثـرـ النـاسـ لـاـ يـعـلـمـونـ.

عـدـلـكـ الـقـسـطـ هـوـ الرـحـمـةـ بـعـيـنـهـاـ.ـ عـدـلـكـ يـنـفـىـ كـلـ باـطـلـ.ـ وـكـلـ مـاـ سـوـاهـ باـطـلــ.

الناس بالناس، بك سبحانك، ما أذهم إلا نسيانك، إلا  
الشرك بك،

وما تركتهم عقاباً أو إيلاماً،

ولكن ليجدوك بعد ما قنطوا من أنفسهم، من رحمتك.

أهو غي أم جاهل هذا الذي يفلت فرصة أن تتجلّى له؟  
أن تدخل بيته؟ أن غلأ قلبه؟ أن ترضي عنه ويرضي عنك؟  
الساعة قائمة لا ريب فيها، وبإذنك قبل كل شيء.

لكننا ما لبثنا إلا قليلاً.

فلمَّا الرُّعبُ وكلَّ هذا الفضلُ تعدنا به؟  
شتان بين رعب الرُّوعِ، وذل الرُّعبِ.

كيف يذلُّ الإنسان نفسه وأنت بكل هذه الإحاطة الرحيمة؟  
الوقت الوقت، الفتح النصر، جاء نصرك بالفتح المبين،  
والناس يدخلون أفواجاً،  
فنسبح بحمدك ونستغفرك،  
"إنه كان تواباً".

- صاحبُه هو ابنِ د. إيهابِ الخراطي، زميلِي في تأليفِ كتابنا "مواقفُ التَّنفُّرِ بين التَّفسيرِ والاستهلامِ"، وهو قسٌ مسيحيٌّ أجيلى، وطبيبٌ نفسيٌّ وتلميذٌ كما ذكرت في بداية البداية.